

نثر فني

بيكاسو، دون كيخوته الرسم

غرّترود ستايت**ترجمته يزن الحاج**

لم يُوجد الرسم في القرن التاسع عشر إلا في فرنسا وعلى يد الفرنسيّين، وبمعزل عن هذا، لم يكن للرسم وجود، وقد أوجد في القرن العشرين في فرنسا ولكن على يد الإسبان.

كان والد بيكاسو أستاذاً للرسم في إسبانيا وكان بيكاسو يتهجّى الرسم حين كان أقرانه من الأطفال يتهجّون الأبجدية. لقد ولد وهو يُنجز اللوحات، ليست لوحات طفل بل لوحات رسّام. لم تكن لوحاته عن الأشياء التي تُرى بل الأشياء التي تُحس، وبإختصار كانت إنكّل الأشياء كلمات بالنسبة إليه وكان الرسم على الدوام وسيلته الوحيدة للكلام وقد كان كثير الكلام.

استقر بيكاسو مذ كان في التاسعة عشرة في باريس حيث عاش . باستثناء زيارات نادرة وقصيرة جداً إلى إسبانيا . حياته كلها.

كان اصداقاًؤه في باريس كتاباً وليسوا رسّامين، إذ لم عليه أن يصادق الرسّامين إن كان يرسم كما يرسم. وبذا كانت الصداقة الحميمة منذ البداية مع ماكس جاكوب وبعده مباشرة عُثوم أبولينير وأندريه سالون، ولاحقاً تعرّف إليّ وبعد فترة طويلة أخرى جان كوكتو وبعدها بفترة أطول السوربياليّين، ذلك هو تاريخه الأدبي. أما أصدقاؤه المحميمون من الرسّامين، وهذا كان في مرحلة لاحقة، بعد فترة طويلة جداً من صداقته مع ماكس ياكوب وعُثوم أبولينير ومع أندريه سالون ومعى، فقد كانا بُراك وديران، وكان لكليهما جانب أدبي وكان هذا الجانب الأدبي هو سبب صداقتهما مع بيكاسو.

أفكار الرسّام الأدبية لا تتباهى أفكار الكاتب الأدبية بحال من الأحوال. وأنا الرسّام هي أنا متباينة كلياً عن الرسّام الأدبي. فالرسّام لا يعتبر نفسه موجوداً في نفسه، بل يعتبر صادقاً مع بيكاسو.

أفكار الرسّام الأدبية لا تتباهى أفكار الكاتب الأدبية بحال من الأحوال. وأنا الرسّام هي أنا متباينة كلياً عن الرسّام الأدبي. فالرسّام لا يعتبر نفسه موجوداً في نفسه، بل يعتبر صادقاً مع بيكاسو.

أفكار الرسّام الأدبية لا تتباهى أفكار الكاتب الأدبية بحال من الأحوال. وأنا الرسّام هي أنا متباينة كلياً عن الرسّام الأدبي. فالرسّام لا يعتبر نفسه موجوداً في نفسه، بل يعتبر صادقاً مع بيكاسو.

أفكار الرسّام الأدبية لا تتباهى أفكار الكاتب الأدبية بحال من الأحوال. وأنا الرسّام هي أنا متباينة كلياً عن الرسّام الأدبي. فالرسّام لا يعتبر نفسه موجوداً في نفسه، بل يعتبر صادقاً مع بيكاسو.

أفكار الرسّام الأدبية لا تتباهى أفكار الكاتب الأدبية بحال من الأحوال. وأنا الرسّام هي أنا متباينة كلياً عن الرسّام الأدبي. فالرسّام لا يعتبر نفسه موجوداً في نفسه، بل يعتبر صادقاً مع بيكاسو.

أفكار الرسّام الأدبية لا تتباهى أفكار الكاتب الأدبية بحال من الأحوال. وأنا الرسّام هي أنا متباينة كلياً عن الرسّام الأدبي. فالرسّام لا يعتبر نفسه موجوداً في نفسه، بل يعتبر صادقاً مع بيكاسو.

أفكار الرسّام الأدبية لا تتباهى أفكار الكاتب الأدبية بحال من الأحوال. وأنا الرسّام هي أنا متباينة كلياً عن الرسّام الأدبي. فالرسّام لا يعتبر نفسه موجوداً في نفسه، بل يعتبر صادقاً مع بيكاسو.

والروسبي كانت مثلما كان إلى لوحات ويعيش في انعكاسات كانت إنكّل التآخيرات) توّد حرف بيكاسو عن رؤياه الحقيقية التي كانت هي رؤياه الإسبانية الحقّة. كانت الأشياء التي يوسع بيكاسو رؤيتها هي الأشياء التي تمتلك واقعها الخاص، واقعاً لا يرتبط بالأشياء التي تُرى بل بالأشياء التي توجد. من الصعب أن تكون موجوداً لوحدك من دون أن تكون لديك القدرة على أن تبقى وحيداً مع الأشياء، ولذا تعرّض بيكاسو بدايةً على الفن الأفريقيّ ومن ثم على التأثيرات الأخرى لاحقاً. ...

ولند بيكاسو في ملقا، في 25 تشرين الأول/أكتوبر، 1881. استقر والده استقراً دائماً في برشلونة عام 1895 وجاء بيكاسو الشاب إلى باريس للمرة الأولى عام 1900 حيث بقي ستة أشهر.

خلال هذه الفترة، بين عامي 1901 و1904، رسم لوحات المرحلة الزرقاء، الصلابة والواقع الذي ليس هو الواقع الذي يُرى، وهما رسم تلك اللوحات التي شكّلت الأساس لكل ما أنجزه لاحقاً.

وفي عام 1904 عاد إلى فرنسا، ونسي كل ما يتعلّق بالحرّز الإسباني والواقع الإسباني، ترك لنفسه العنان، حيث عاش في جماليّة الأشياء التي تُرى، جماليّة السنتمنتاليّة الفرنسيّة. عاش في أشعار أصدقائه، أبولينير، ماكس جاكوب، وسالون، وبحسب ما اعتاد خُوان غريسي القول دوماً، فرنسا تغويين ولا تزال تغويين، وأظنّ أنّ هذا هو الأمر، إذ تمثلت فرنسا بالنسبة إلى الإسبان مصر إغواء لا مصدر تأثير.

وبهذا كانت مرحلة الأريليكين (المهرج) أو المرحلة الوردية فترة إنتاج غزير، حرّض جمال فرنسا مستوى غير مسبوq من الخصوبة. من المذهل معرفة عدد وحجم اللوحات التي رسمها خلال تلك الفترة الوجيزة بين عامي 1904 و1906.

اختتمّت المرحلة الوردية برسم لوحتي البورتريه، كان مستوى رسمه قد تغيّر وباتت لوحاته أقل خفة، وأقل بهجة ففي نهاية المطاف إسبانيا هي إسبانيا وليست فرنسا وكان القرن العشرون في فرنسا بحاجة إلى إسباني ليُعبّر عن حياتها وكان مُفجّراً لبيكاسو أن يكون هو المنشود في هذا الأمر. حقاً وفعالاً.

تتّسم بالخفة والفرح فإنّ كل شيء نسبيّ، فالمواضيع التي كانت مواضيع مبهجة كانت حزينة بدرجة ما، عائلات الأريليكين كانت عائلات بائسة ولكن من وجهة نظر بيكاسو كانت تلك مرحلة بهيجة سعيدة خفيفة وكانت مرحلة اقتنع فيها برؤية الأشياء كما يراها الجميع. ومن ثمّ فع حلول عام 1906 كانت المرحلة قد انتهت.

عام 1906 عمل بيكاسو في لوحتي البورتريه طوال فصل الشتاء، وبدأ يرسم أشخاصاً باللون تكاد تكون رتيبة، لا يزال فيها شيء من الوردية ولكنّها في معظمها بلون ترابيّ، باتت خطوط الأجساد أقسى، كانت بداية رؤياه الخاصة قد تراققت مع مقدار كبير من القوة. كانت مشابهة للمرحلة الزرقاء ولكنها تُحس بقدر أكبر وإنّ كانت أقل لوناً وأقل سنتمنتاليّة. بدأ فنّه

يصبح أكثر صفاءً، ولذا جدّد رؤياه التي كانت تتمكّل في الأشياء التي تُرى كما يراها هو.

ولا ينبغي للمرء أن ينسى أبداً أنّ واقع القرن العشرين ليس واقع القرن التاسع عشر، ليس هو على الإطلاق وكان بيكاسو هو الوحيد في عالم الرسم ممّن أحسّ به، كان هو الوحيد. وشيخاً فشيخاً تكهّن النضال من أجل التعبير. كان ماتيس والأخرون يرون القرن العشرين باعينهم ولكنهم كانوا يرون واقع القرن التاسع عشر فعلياً، بينما كان بيكاسو هو الوحيد في عالم الرسم الذي رأى القرن العشرين بعينه وراى واقعه وبالتنحية كانت تضالته مرعواً، وعاباً بالنسبة إليه وبالنسبة إلى الآخرين، إذ لم يكن لديه ما يعينه، فالماضي لم يساعده، وكذا الحاضر، وكان عليه أن يقوم بكل شيء لوحده، وبالرغم من وجود قدر كبير من القوة إلا أنّه كان شديد الضعف معظم الأوقات، فكان يعزّي نفسه ويسمح لنفسه بأن يخضع لغواء الأشياء الأخرى التي خرّفته عن بصمته بهذا القدر أو ذاك.

إثر عودته من رحلة قصيرة إلى إسبانيا، قضى فيها فترة الصيف في غوسول (في كتالونيا)، رجع ليتعرّف إلى ماتيس الذي كان وسيلته للتعرف إلى النحت الأفريقيّ. ففي نهاية المطاف لا يجب للمرء أنّ يخشى أبداً أنّ النحت الأفريقي ليس ساذجاً، على الإطلاق، بل إنّه فن تقليديّ، يستند إلى الأعراف وإنّ أعرافه مستمدة من الثقافة العربيّة. كان العرب خالقي حضارة الزنوج وثقافتهم ولذا فإنّ الفن الأفريقيّ الذي كان ساذجاً واكروتيكياً بالنسبة إلى ماتيس كان بالنسبة إلى بيكاسو، وهو إسبانيّ، أمراً يمتاز بالطبيعيّة، والمباشرة والتحضّر.

وبهذا كان من الطبيعيّ أن يسهم هذا الفن في إعادة تحريز رؤياه ويساعده على إدراكه لتكون النتيجة هي الدراسات التي دفعته إلى إنجاز لوحة «انسان أقيونيون». مجدداً ومجدداً هو لم يكن بعيد انطلاقاته بل كان يواصل الانطلاق بعد انقطاع. تلك هي حياته. وفي تلك الفترة تقريباً بدأ تواصله مع ديران وبراك وشيخاً فشيخاً بدأت التكعيبيّة الزرقاء بالزوغ في البدء كان هذا الجهد، الأشد صعوبة من الطبيعة الصامتة والمناظر الطبيعيّة، من أجل خلق بشر من مكّخبات، عمل مرهق، فأفرغ بيكاسو كل ما في داخله خلال عام 1907 وأراح نفسه من خلال النحت. ففي النحت لدينا العيب الذي يمكن للمرء الالتفاف حوله على الدوام كما أنّ المواد التي تقوم عليها المنحوتات تعطي انطباع الشكّل قبل أن يبدا النحات العمل عليه.

وكان بيكاسو الذي بذل جهداً جبّاراً لخلق لوحاته بالاعتماد على فهمه للنحت الأفريقيّ قد وقع لفترة وجيزة بعد عام 1908 أسيراً لغواء انشغاله بشكل المنحوتة بدلاً من الرؤيا التي تميّز النحت الأفريقيّ ولكن حتى برغم هذا كانت تلك خطوة بمثابة محطة وسطي في الطريق المغضبة باتجاه التكعيبيّة في نهاية المطاف.

التكعيبيّة جزء من الحياة اليومية في إسبانيا، إنّها موجودة في العمارة الإسبانيّة. فالعمارة في

قصائد

خارج الكيمياء، تماماً

سعيد الياز *

في السابق كان بإمكانك أن تكون جذياً وصالحاً شيء مثل قرّاعة الحقل حين هجرها الحصادون وعادت لمهابة لالأولاد.

الآن، صرت أعمى القرية الذي يفتنم فيما يقعي بجانبه المساء.

لم أكن سيئاً إلى ذلك الحدّ كانت يدي قد الفت لي عنق الفطنة قبل مصافحة الياس

وزرع الشوك في الأسرة قبل انهيال النوم

من الطابق العاشر المبقظة، ففي الغرف الخنسية عادة ما تصادف الشخص الذي يدبر وجهه باتجاه الحدار وبمودة رفيق الطريق بديم النظر فيما يُظنّ أنّه النافذة أو أيّ مكان آخر في حاجة إلى الأفق.

من يرشدني إلى تلك المرأة التي تعكس صورة شخص غريّ؟ لقد ترّقصت كثيراً بالضوء في غرفة الرسّام الهولندي.

أغفيت قليلاً ومثل مساء مفعم بخطيئة الياس جمعت أغراضى بدرجة عابر محترف ورحلت أتأمل من نافذة الأفق ماذا يعنيه انكسار الظلّ في الممرّ الخالي من الخطوات.

في هذه الحرب أنا قاس كجرح قديم نسيه السكين.

الحياة قد لا تتعلم كيف ترّوض الأفعى في أسرة الآخرين.

الحياة قد لا تتعلم كيف تعين السمّ من أقداح الآخرين.

الحياة خطيرة يا صديقي لا تتعلمك سوى شحذ مزيد من السكاكين في شريان الوقت.

الحياة يا صديقي خطيرة جداً إلى حدّ أنّ الموت قد يصادفك في أحد الممرّات على هيئة شخص البف وقد صار أكثر أمناً.

كن حليفاً للضوء لا تصدّق حكاية أجنحة الفراش في عزّ الصيف هي في أغلب الظنّ ضعيفة قديبل صدى قد توارى في الحوش المهجور خلف البيت.

ساعدو بالثمرة إلى الشجرة والشجرة إلى البذرة

والبذرة إلى التربة والتربة إلى يد المزارع الطيب، وساترك الحطاب بعيداً هناك يفرح وحيداً أصابع العزلة.

(عن موت شاعر) مثل مشجب مهشم الرّاس ترك قميصه هنا يحمل ذكريات باهتة قد يصادفك في أحد الممرّات على هيئة شخص البف وقد صار أكثر أمناً.

أنت سيئ إلى هذا الحدّ توارى مراياك بالشراشف، وما من ميت في الغرفة سواك.

ويكون بداخلي حياء الزجاج، وبالهاشاشة ذاتها أختنى من العطب.

لا تربّت على كتفي



ياسو - فزاعة،
(حبر على ورق الأزرق،
1682)

لا تقد يدي إلى وجهة الغد لا تتسدّد سنابكك نحو ورود الأمل لا تحرك شفاهك بالكلمات المرتبة جنداً بورق السوليفان أو تقوّس حاجبيك لا تخمّن إني أغلقت عيني منذ أمس

هكذا تخيلت الشعر فلاحاً بقبعة قش يرفح منها عرق قديم.

بمواظع الهواء وقليل من رغبة التراب بالكثير من دوخة النار

هناك كنت تماماً خارج الكيمياء.